

المرجعية ودورها في الاحداث السياسية في تاريخ العراق المعاصر

(ثورة العشرين إنموذجاً)

□ أ.د. عهود حسين جبر
مركز دراسات الكوفة

المقدمة :

شكلت الحرب العالمية الاولى منعطفاً خطيراً في حياة العراق وبقيّة الدول العربية والاسلامية ، إذ نتجت عنها تغيرات على جميع الاصعدة السياسية والاجتماعية ، وكان من نتائجها احتلال البريطانيين العراق في سنة ١٩١٤م ، وقد أظهروا في بادئ الامر أنهم انما جاؤوا لتحرير العراق من ظلم العثمانيين وجورهم ، كعادة الغزاة والمحتلين في إقناع الشعوب المحتلة ، ولكنهم ما لبثوا أن أظهروا الوجه الحقيقي المملوء طمعاً وكراهية ، فلحق بالشعب العراقي ما لحق من ذل وظلم ومهانة .

ولم يقف الشعب العراقي مكتوف الايدي بل ثار ضد الغزاة ومن أكبر ثورات العراقيين ثورة العشرين التي تعد صفة بوجه المعتدي .

وقد وجدت من باب الوفاء لتضحيات شعبنا العراقي ، وتجسيدهم الثورة والبطولة بقيادة المرجعية الدينية ، أن اكتب في هذا الموضوع ، من خلال بحث جاء بعنوان : (المرجعية ودورها في الاحداث السياسية في تاريخ العراق المعاصر) ثورة العشرين (إنموذجاً)

وقد ركز البحث في بدايته على وضع العراق الجغرافي ، والاسباب التي أدت الى استغلاله وكيف تعرض الى أطماع الطامعين ومنهم البريطانيين ، وردة فعل العراقيين على هذا الاستغلال متمثلة بثورة عارمة ضد هذا الوجود الاجنبي ، وكان للعشائر العراقية الأثر الاساس في هذه الثورة تقودها المرجعية الرشيدة . فقد كان لتوجيهاتها الاثر البارز في إشعالها ونجاحها

وسأتناول في هذا البحث أيضاً ، أثر المرجعية في الاحداث السياسية في العراق ولاسيما تلك التي عاصرت الاحتلال البريطاني ، مبيّنة دور المرجعية المؤثر في استنهاض الهمم ، وتأجيج الثورات ومنها ثورة العشرين المباركة ، وفي الحقيقة ان هذا الموضوع يضم

في طياته تاريخ شعب ناضل الاستعمار واتخذ من مرجعيته الروحية والدينية مرشداً وموجهاً للمضي في مقاومة الاحتلال ، وكان لهم الدور المشرف في حشد الناس في مقاومة الاحتلال البريطاني الذي كان يمتلك القوة والسلاح .
واخيراً وليس آخراً فسأركز في بحثي هذا على دور المرجعية في التخطيط والتنسيق للثورة حتى إشعالها، من دون التعرض لتفصيلات الثورة وما جرى فيها من أحداث دقيقة .

التمهيد

مفهوم المرجعية الدينية:

لا بد لنا قبل أن نبدأ البحث من أن نتعرف على مفهوم المرجعية وأصلها في اللغة فقد عرفها صاحب القاموس المحيط بقوله: (رجع أو الرجوع ، بمعنى عاد ، أو العود الى ما كان من البدء ، فمن اللغويين من يرى أن أصل المشتقات هو الفعل الماضي ، ومنهم من يراه المصدر) ^(١)

و المرجعية اصطلاحاً (هي الجهة المتولية لشؤون الامة أو الفرقة أو الطائفة بأجمعها .. لإدارتها وتدبير اصولها وأوضاعها الدينية ويسمى المتقمص بها المرجع) ^(٢).
أما فيما يخص مرجعية الشيعة فيتولى امرها المرجع الاعلى للشيعة ، والمرجع الاعلى للشيعة هو مقام يكتسبه عالم من علمائها و لا يصل الى هذا المقام الا من كان يمتلك شروطاً خاصة مثل

(العلمية والعدالة والعقل) ^(٣).

الاحداث السياسية البارزة في تاريخ العراق الحديث :
مرّ العراق في تاريخه الحديث بأحداث جسيمة أثّرت في حياته السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، منها احتلاله وغزوه قامت به قوى اجنبية واقليمية وكان من أسباب هذا الاستهداف المتكرر للعراق :

أولاً: (الموقع الاستراتيجي الهام الذي يتمتع به العراق) ^(٤) .

ثانياً: (الثروات الطبيعية الهائلة التي تحتويها الاراضي العراقية والمتمثلة بالنفط الذي يعد عصب الحياة الصناعية في العالم)^(٥).

وكل هذا جعله يتعرض في فترات طويلة من تاريخه الحديث الى سيطرة السلطات الاجنبية ومنها الحكم العثماني للعراق الذي تسلط على رقاب الناس، وانتهى وجودهم بمجيء البريطانيين إذ (قضى البريطانيون على الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨م وذلك أثر هزيمة العثمانيين)^(٦).

وكان من نتائج هذه الهزيمة وقوع العراق تحت الاحتلال البريطاني بقيادة ستانلي مود وتحت شعار تحرير العراق من الاحتلال العثماني (وفي بادئ الامر وعندما دخل الجنرال مود الى بغداد كان يصانع العراقيين ويدعي مساعدتهم على بناء دولتهم المستقلة)^(٧) محاولاً تحسين صورته لدى الشعب العراقي ، وقد جاء على لسان مود مخاطبا العراقيين قوله : (الا أن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة قاهرين أعداء ، بل بمنزلة محررين)^(٨).

ولكن ما لبث المستعمر أن أظهر وجهه البشع وسرعان ما ظهرت حقيقته القبيحة ، فأخذ يتعرض للشعب العراقي ويذيقه الوانا من الظلم والتعسف ، (فوضعت سلطة الاحتلال نظاماً لجباية الاموال من الحاصلات الزراعية بالتوافق مع رؤساء العشائر ولاسيما الرؤوس الكبيرة التي تتحكم بالمقاطعات الواسعة من الارض ، ومارسوا بعد ذلك فرض رسوم وضرائب انهكت المواطن العراقي)^(٩).

وقد توالى على العراق احداث جسيمة هددت كيانه ووجوده ، على يد الاستعمار الانكليزي الذي ادخل العراق في نفق مظلم مستهدفاً هذا الشعب المظلوم فلاقى الولايات وكل انواع الظلم والاضطهاد بدءا بكرامته وانتهاء بسلب خيراتة والسيطرة عليها ، ولم يقف الشعب العراقي مكتوف الايدي ضد الاحتلال الغاشم ، فحشد قواه المختلفة للنضال ضد الاستعمار .

(وقد تميزت ردة فعل العراقيين على الاحتلال البريطاني بوحدة الصف الوطني والاتفاق على مقاومة الاحتلال)^(١٠) فكان لا بد من المجابهة التي تنهي هذا الواقع

الفساد ، (فقامت ثورات عديدة على الاحتلال كثورة الرميثة والنجف والسليمانية وديالى وتلعفر وانتهت بثورة العراق كله الثورة العراقية الكبرى في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ م التي اوقدت شرارتها في الرميثة ومنها عمت جميع مناطق الفرات الاوسط)^(١١) وتعد هذه الثورة (من الثورات التحررية التي قادها علماءنا الاعلام بكل شجاعة ضد الاستعمار الانكليزي ، وقد شملت هذه الثورة جميع أنحاء العراق ، واستطاعت أن تحقق بعض المطالب الاسلامية التي كان يطالب بها الشعب آنذاك)^(١٢).

وقد اشترك في هذه الانتفاضة جميع شرائح المجتمع (وقد نتجت الانتفاضة عن تظافر أربع مجموعات هي: الجماعات العشائرية والجماعات الدينية الشيعية وجمهور المدن بقيادة الاعيان والمثقفين)^(١٣).

المرجعية ودورها في أحداث العراق :

وسأقف عند دور المرجعية في قيادة الناس ضد المستعمر، إذ أن المدن الشيعية المقدسة كان لها الاثر الاكبر في قيادة ثورة العشرين ،وقد (كانت كل من النجف وكربلاء اولى الاماكن التي انتفضت ضد البريطانيين بعد الاحتلال و لم تكن من المدن المعزولة بل ذات صلات وثيقة بالمناطق العشائرية المحيطة بهما)^(١٤).

ولابد من أن نقف عند المعطيات التي هيأت للثورة وأنضجتها أذ (تنهت القيادات الاسلامية الى ضرورة الاعداد الدقيق والمنظم للثورة من خلال تأسيس جمعيات وأحزاب دينية ووطنية لجمع شمل الامة)^(١٥).

و قبل أن نبدأ في الحديث عن الثورة العراقية الكبرى ، لابد من توضيح المكانة التي تحتلها المرجعية في قلوب الناس ، وأثرها في الثورة إذ كان رجال الدين في المدن المقدسة النجف وكربلاء من طبقة الرجال المخلصين لبلدهم ومجتمعهم الذي كان يضع ثقته واعتماده عليهم ويؤمن بكل ما يصدر عنهم من دون تفكير او مراجعة ، وقد كان هذا الامر يقلق البريطانيين بشكل كبير ويشكل هاجسا طالما ارقهم وشكل تهديداً لوجودهم ، لان المرجعية كان باستطاعتها في ذلك الوقت أن تقود الناس المواليين لها نحو المقاومة

ومن دون تردد ، إذ كانت توجهات المرجعية هي الكلمة الفصل في كل ما يدور في البلاد ولاسيما تلك الاحداث الكبيرة التي رافقت الاستعمار البريطاني .
لذلك نجد سياسة البريطانيين اتجه المرجعية تتأرجح بين الترهيب والترغيب . وكانت ردة فعل البريطانيين عنيفة أحيانا ضد المراجع وأتباعهم من زعماء الحركة الوطنية ، فتعرضوا للنفي خارج العراق ، والاعتقال لإسكات صوته .

وكان للمرجعية الدور الكبير في تحشيد الناس ضد الوجود الاستعماري في البلاد (إذ كانت السياسة والدين في المدن الشيعية تسيران يداً بيد وبدرجة من التقارب بحيث لا يمكن لأي حركة سياسية أن تنجح بدون دعم العلماء والمجتهدين البارزين) ^(١٦).

وقد كانت المرجعية من اوائل الداعين الى مجابهة الاحتلال البريطاني ، إذ عمدت المرجعية بقيادة الميرزا الشيرازي الى التخطيط المنظم للثورة ، فكانت الاجتماعات في النجف الاشرف وغيرها من المدن العراقية ، وكانت من اهم الاجتماعات الاجتماع (الذي عقد في مدينة النجف الاشرف في الخامس عشر من آذار وكان اجتماعا سريا وبتوجيه من الميرزا الشيرازي وقد ضم هذا الاجتماع الفاعلين ووجوه ورؤساء العشائر والشخصيات الوطنية وهم نفس اولئك الثوار الذين شاركوا في حركة الجهاد وصاروا زعماء ثورة العشرين) ^(١٧).

ويبدو أن هذه الاجتماعات في بادئ الامر لم يكن الهدف منها المواجهة المسلحة مع الانكليز وانما كانت للمطالبة بالحقوق عن طريق المفاوضات السلمية خوفا من الهزيمة أمام العدو

وحققنا لدماء الناس (إن الشيرازي قد أعرب عن شكوكه بشأن قدرة العشائر على الوقوف بوجه القوات البريطانية) ^(١٨) فلما تأكد من تصميم العشائر على خوض المعركة اعطى موافقته في استخدام القوة ضد العدو بشرط المحافظة على القانون والنظام ^(١٩).

وقد دعت المرجعية الى توحيد الكلمة ونبذ الخلافات لمجابهة هذا العدو الغاشم الذي يريد الاستيلاء على مقدرات البلاد واستعباد ابنائه، (وقد اوكل الاجتماع السري الى بعض الخطباء الى نشر الوعي الثوري في المناطق الجنوبية والوسط)^(٢٠) وقد كانت اهم اهداف المقاومة (قيام حكومة وطنية ترعى مصالح الشعب وتحافظ على وحدة البلاد واستقلالها وسيادتها)^(٢١).

وكان لهذه الدعوات الاثر البارز في نفوس الناس واستنهاض الهمم، ويرى بعض الباحثين في وقتنا الحاضر (أن هذا الاجتماع يعد الركيزة الاولى للمهدة لاندلاع الثورة)^(٢٢)

وقد عقدت ثلاثة اجتماعات سرية أخرى في كربلاء في النصف من شعبان برئاسة السيد ابي القاسم الكاشاني والسيد محمد رضا نجل السيد الشيرازي^(٢٣). وقد كان للسيد محمد رضا ظهور لافت في ذلك الوقت فقد كان من المعارضين للوجود البريطاني والداعين الى قلب الاوضاع من خلال خطاباته للجماهير. وقد تنبه البريطانيون الى خطورة هذا الرجل، فما كان منهم الا نفيه الى الهند مع مجموعة من الاحرار والمجاهدين، وقد كان لهذا الصنيع الاثر الاكبر في نفوس الناس وازدياد غضبهم على البريطانيين، فكان هذا الامر من الاسباب التي ادت الى الثورة العراقية الكبرى.

وما ان حلّ شهر حزيران حتى بدأت الامور تأخذ منحى آخر للحسم النهائي للثورة، فاندلعت في الثلاثين من حزيران سنة ١٩٢٠م.

(وقد وفرت العشائر الدعم الاساسي لثورة العشرين وقدمت أكثرية المقاتلين، فلحقها بالتالي أكثر الاصابات، وقد دامت الانتفاضة المسلحة الفعلية نحو اربعة أشهر من تموز الى تشرين الاول ١٩٢٠)^(٢٤).

وقد اشتركت في هذه المعركة معظم مناطق العشائر العراقية من الفرات الاوسط وديالى والمنتفك والمنطقة بين بغداد و الفلوجة على امتداد شمال الفرات^(٢٥).

ولم يتحدد دور العلماء في تعبئة الجماهير (بل قام بعضهم بالتوجه الى جبهات القتال للإشراف على العمليات العسكرية الاشتراك بالقتال أمثال ابو القاسم الكاشاني والشيخ جواد الجزائري والسيد هبة الدين الشهرستاني)^(٢٦).

وما أن بدأ القتال بين بعض العشائر العراقية وبين البريطانيين ، حتى بدأت المرجعية بمتابعة الاحداث بكل تفاصيلها ودقائقها من خلال الرسائل التي يرسلها شيوخ العشائر الى المرجعية إذ (كان اتصالهم بمرجعية النجف مستمرا وكان وكلاء المرجعية من العلماء الاعلام لا يهدؤون يوماً من التواصل والتواجد مع الثائرين)^(٢٧).

الخاتمة :

- كانت القوى الغاشمة للاحتلال البريطاني تحاول الهيمنة على العراق من خلال المخاتلة والمراوغة حيناً والقوة في احيان اخرى ، مستغلة اوضاع المجتمع المتردية من الناحية الثقافية ، ولكن على الرغم من الجهل والامية التي كانت تسود في المجتمع العراقي آنذاك الا أننا لانعدم الحس الوطني الذي كان فطرياً في قلوب الناس .

- قامت ثورات عديدة على الاحتلال البريطاني باءت بالفشل باستثناء ثورة العشرين التي حققت أهدافها ، و كانت بدايتها في الرميثة ثم امتدت الى كل مناطق الفرات الاوسط .

- كان من أهم أسباب نجاح الثورة وحدة الصف الوطني و اتفاق الشعب بجميع شرائحه على مقاومة المحتل ، والمطالبة بحكومة وطنية ترعى مصالح الناس .

- ثورة العشرين ثورة وطنية إسلامية ، وقد رسمت معالم جديدة للوضع السياسي العراقي إذ أرغمت البريطانيين بالاعتراف باستقلال العراق في ظل حكومة ملكية بقيت الى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم .

- إن البحث في ثورة العشرين انما هو بحث في علامة مضيئة في تاريخ العراق المعاصر ، وشكلت تحولا خطيرا في اتجاهاته الاجتماعية ، إذ اشترك فيها معظم الشرائح الاجتماعية بمختلف انتماءاتها بقيادة المرجعية الدينية .

الملخص:

يتناول البحث دور المرجعية الدينية في الاحداث السياسية في العراق ولاسيما تلك التي عاصرت الاحتلال البريطاني وفي الحقيقة ان هذا الموضوع يضم في طياته تاريخ شعب ناضل الاستعمار واتخذ من مرجعيته الروحية والدينية مرشدا وموجها للمضي في مقاومة الاحتلال ، وكان لهم الدور المشرف في استنهاض الهمم وحشد الناس في مقاومة الاحتلال البريطاني الذي كان يمتلك القوة والسلاح .

و قد ركز البحث في بدايته على وضع العراق الجغرافي والاسباب التي أدت الى استغلاله من قبل البريطانيين ، وردة فعل العراقيين على هذا الاستغلال متمثلة بثورة عارمة ضد هذا الوجود الاجنبي ، وكان للعشائر العراقية الدور الاساس في هذه الثورة تقودها المرجعية الرشيدة ، فقد كان لتوجيهاتها الاثر البارز في إشعالها ونجاحها .

إن البحث في ثورة العشرين انما هو بحث في علامة مضيئة في تاريخ العراق المعاصر وتحولا خطيرا في اتجاهاته الاجتماعية ، إذ اشترك فيها معظم الشرائح الاجتماعية بمختلف انتماءاتها بقيادة المرجعية الدينية ، ولقد قامت ثورات عديدة على الاحتلال البريطاني باءت بالفشل باستثناء ثورة العشرين التي حققت أهدافها ، و كانت بدايتها في الرميثة ثم امتدت الى كل مناطق الفرات الاوسط .

وكانت من أهم أسباب نجاح الثورة وحدة الصف الوطني و اتفاق الشعب بجميع شرائحه على مقاومة المحتل ، والمطالبة بحكومة وطنية ترعى مصالح الناس ،

ثورة العشرين ثورة وطنية إسلامية أرغمت البريطانيين على الاعتراف باستقلال العراق في ظل حكومة ملكية بقيت الى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ م بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم .

- (١) القاموس المحيط : ٢٨ / ٣ .
- (٢) بحوث ودراسات عن علماء الحوزة في النجف الاشرف: ١٨٢ .
- (٣) المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق الحديث والمعاصر : ٣٨ .
- (٤) المنتخب من تاريخ العراق الحديث : ٩٢ .
- (٥) ينظر المصدر نفسه : ٩٢ .
- (٦) الامام الخوئي المرجع الشيعي الاكبر : ١٨٨ .
- (٧) المرجعية الدينية ودورها في تاريخ العراق الحديث والمعاصر : ١٧٧ وينظر المنتخب من تاريخ العراق : ٩٦ .
- (٨) الثورة العراقية الكبرى ٣٢
- (٩) المصدر نفسه : ١٧٧ .
- (١٠) المنتخب من تاريخ العراق الحديث : ٩٩ .
- (١١) نافذة على التاريخ السياسي للعراق المعاصر من الاحتلال البريطاني الى الاحتلال الامريكي : ٢٠ .
- (١٢) بحوث ودراسات عن علماء الحوزة في النجف الاشرف : ٩٩ / ١ .
- (١٣) العراق نشأة الدولة : ٣٩٧ .
- (١٤) نفسه : ٤٢١ .
- (١٥) المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق المعاصر ١٦٩ .
- (١٦) العراق - نشأة الدولة : ٤٢٠
- (١٧) المرجعية ودورها الوطني في تاريخ العراق الحديث والمعاصر : ١٧٨ .
- (١٨) العراق نشأة الدولة : ٤٣٠
- (١٩) ينظر الثورة العراقية الكبرى : ٩٧
- (٢٠) المصدر نفسه : ١٧٨ .
- (٢١) المنتخب من تاريخ العراق الحديث : ٩٩ .
- (٢٢) الثورة العراقية الكبرى : ١٦٨ .
- (٢٣) ينظر المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق المعاصر : ١٧٩ .
- (٢٤) ينظر العراق نشأة الدولة : ٤٣٥ .
- (٢٥) ينظر المصدر نفسه ٤٣٥ .
- (٢٦) البطولة في ثورة العشرين : ٢١٨ .

(٢٧) المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق المعاصر: ١٩٣.

المصادر والمراجع :

- الأمام الخوئي - المرجع الشيعي الأكبر ، تأليف محمد سعيد الطريحي ، المركز الثقافي لثراث اهل البيت ، د. ت .

- بحوث ودراسات عن علماء الحوزة في النجف الاشرف ، تأليف السيد هاشم فياض الحسيني الكلمة الطيبة / النجف الاشرف ط ١٠ ٢٠١٠ م .

- البطولة في ثورة العشرين ، تأليف عبد الشهيد الياسري ، النجف ، ١٩٧٥ م .
- تاريخ العراق السياسي الحديث تأليف السيد عبد الرزاق الحسيني ، الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان - بيروت ، ط ٧ ، ٢٠٠٨ م .

- الثورة العراقية الكبرى - تأليف السيد عبد الرزاق الحسيني ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ٦ ، ١٩٩٢ م .

- العراق نشأت الدولة - ١٩٠٨ م - ١٩٢١ م ، تأليف الدكتور غسان العطية دار اللام لندن ١٩٨٨ م .

- القاموس المحيط ، تأليف الفيروز آبادي ، مصر ١٩٥٢ م
- المرجعية الدينية ودورها الوطني في تاريخ العراق الحديث والمعاصر تأليف الدكتور صلاح مهدي علي الفضلي مطبعة جعفر العصامي للطباعة - العراق - بغداد ، ٢٠١٠ م .
- المنتخب من تاريخ العراق الحديث ، تأليف محسن جبار العارضي ، مكتب زاكي - بغداد ، ط ١

٢٠١٨ م .

- نافذة على التاريخ السياسي للعراق المعاصر من الاحتلال البريطاني الى الاحتلال الامريكي ، تأليف محسن جبار العارضي ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .